المجاورون المصريون فى الحرمين الشريفين
(٥٦٧ - ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م)

تمتعت كل من مكة المكرمة، والمدينة المنورة بمكانة روحية سامية لدى جماهير العالم الإسلامى، وقد جذبت هذه المكانة عدداً كبيراً من المسلمين الذين توافدوا على الحرمين الشريفين من مختلف أمصار العالم الاسلامى، والذين لم يلبث أنْ فَضَّلَ بعضُهم جوار بيت الله العظيم، على أرض مكة الطاهرة، أو جوار الحرم النبوى الشريف، على أرض المدينة المنورة.

أما عن مكة المكرمة، فقد اختار كثيرون الإقامة بها، تبركاً بها، واستجابة، لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم * وارزقهم من الثمرات * لعلهم يشكرون** ﴾[1]. وتمشيًا مع حديث رسول الله ﷺ: «والله إنَّكِ لَخير أرْضِ الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخْرِجْتُ منك ما خَرَجْتُ»[2].

وكانت المجاورة فى الحرمين الشريفين، مستحبّة لدى أكثر الأئمة والعلماء، ومنهم الإمام الشافعى، وصاحبا أبى حنيفة: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وابن القاسم صاحب مالك الذى قال: «إن جوار مكة ما يُتقرب به إلى الله، كالرباط، والصلاة «كما استحبها أيضًا الإمام أحمد بن حنبل، لأنه روى عنه أنه قال: «ليت لى الآن مجاورة بمكة»[3].

---

(١) سورة إبراهيم - من الآية ٣٧.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٥١، ١٥٢.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مكة المكرمة ١٩٥٦، جـ١، ص ٨٤.

وأسهم فى زيادة أعداد الوافدين على الحرمين الشريفين ـ لأداء فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوى، ثم المجاورة فى الفترة الزمنية موضوع البحث ـ ما قام به السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م بإزالة الرسم الذى كان الفاطميون قد فرضوه على الحجاج.

وكان هذا الرسم سبعة دنانير مصرية ونصف دينار على كل فرد.

وكانوا الحجاج يؤدون ذلك الرسم بعيذاب، أو بجدة، ومن لم يُؤَدِ مُنِعَ من الحج وُعذِّب(١). وبذلك سهل السبيل للحجاج للحج، ثم المجاورة.

ولما كان هذا الرسم مفروضًا باسم ميرة مكة والمدينة، فإن صلاح الدين وضع عوضًا منه مايقوم مقامه، من أطعمه وسواها، وتكفل بتوصيل جميع ذلك كله إلى بلاد الحجاز(٢). وكان مقدارُ ما عُوض به أمير مكة ـ عن هذا الرسم ألفى دينار، وألفى أردب قمح، بالإضافة إلى إقطاعيات بصعيد مصر، وباليمن، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف أردب قمح تُحمل إلى جدة(٣).

وقد اختلفت مدة إقامة المجاورين المصريين فى الحرمين الشريفين، فكانت المدة تطول وتقصر حسب رغبة المجاور، فمنهم من جاور فى مكة عاماً، وامتدت بالنسبة للبعض الآخر لسنوات عديدة. فالمجاور عبد المعطى بن محمود بن أبى الثناء الإسكندرى (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) جاور عاماً واحدًا(٤). كما جاور عمر بن على بن مرشد المصرى المولد والدار (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) اثنى عشر عاماً(٥). وممن طالت فترة مجاورتهم، الشيخ أبو العباس القسطلانى المصرى، الذى ولد بمصر عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، وقدم مكة بنية المجاورة عام ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، وأقام مجاورًا حتى عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، وعاد إلى مصر، وظل مقيمًا بمصر حتى عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م، ثم قدم مكة مع الحاج فى تلك

---

(١) ابن جبير: رحلته، بيروت ١٩٨١، ص ٢٨.
والمقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤، جـ١، ق١، ص ٦٤.
(٢) ابن جبير: مصدر سابق، ص ٢٩.
(٣) سبط بن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، الطبعة الأولى، حيدر آباد ١٩٥١، جـ٨، ق١، ص١٣٨.
والمقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٧ جـ٢، ص ٢٣٣.
(٤) الفاسى: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، جـ٥، ص ٤٩٩.
(٥) المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٥٠.

السنة واستوطنها حتى وفاته بمكة عام ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م[١]. وبذلك جاور مرتين فى الأولى جاور ستة أعوام، وفى الثانية جاور لمدة ستة عشر عاماً. أما المجاور ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم المصرى فقد دخل مكة عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وظل بها حتى وفاته بمكة عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م. وبذلك بلغت مدة مجاورته، أربعة وستين عاماً[٢] وهناك أعداد من المجاورين المصريين بمكة جاوروا لكن لم تحدد لنا المصادر مدة إقامتهم[٣].

كذلك اختار بعض المجاورين المصريين قضاء بقية عمرهم بجوار البيت الحرام الذى جعله الله ﴿ **مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾[٤]، ولينعموا فى رحابه الطاهرة بالسكينة، وطمعًا فى ثواب الله يوم القيامة. وذلك تمشيًا مع قول عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ ماتَ بأحد الحرمين بَعَثَهُ الله تعالى من الآمنين يوم القيامة»[٥].

(١) المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٨، جـ٣، ص ٤٦٢.
، والذهبى: العبر فى خبر من غبر، بيروت بدون تاريخ، جـ٣، ص ٢٢٦.
، وابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة بدون تاريخ، جـ١، ص ٢٣٩، ٢٤٠.
، والسخاوى: التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، القاهرة ١٩٧٩، جـ١، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) المنذرى: مصدر سابق، جـ٣، ص ٤٦٢.
والفارسى: مصدر سابق، جـ٧، ص ٣١٦، ٣١٧.

(٣) عن المجاورين المصريين الذين لم تحدد المصادر مدة مجاورتهم انظر: المنذرى: التكملة، جـ٣، ص ٢٦٤.
، والذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، وآخرين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، الطبقة الحادية والستون. ١٤٧.
، والأدفوى: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٩٥.
، والصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٨، شتوتجارت ١٩٨٨، ص ٢٥٩.
والفارسى: العقد الثمين، جـ٢، ص ٢٥٦، وجـ٣، ص ٢٩٩، وجـ٥، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٨، وجـ٦، ص ١٣٦، ١٣٧، ١٧٩، ١٨٠ ـ وجـ٧، ص ٢٧٩، ٢٨٠.

(٤) سورة البقرة ـ من الآية ١٢٥.

(٥) عن المجاورين المصريين الذين فضلوا المجاورة حتى وفاتهم انظر: المنذرى: مصدر سابق، جـ٣ ص ٥٥٤.
والذهبى: العبر، جـ٣، ص ٢٢٦.
، واليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٠، جـ٤ ص ٩٤.
، والفاسى: العقد الثمين، جـ٣، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ ـ وجـ٥، ص ٤٩٧، ٤٩٩، وجـ ٧، ص٢٠٤.
، والسيوطى: حُسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٧، جـ١، ص ٤٥٥.

أمَّا مَنْ جاورَ بالمدينة المنورة من المصريين، فهناك عبد السلام بن محمد عفيف الدين، المصرى، الحنبلى، جاور خمسين عامًا، منها عامان فى الفترة الزمنية موضوع البحث من عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م إلى عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، ثم امتدت مجاورته إلى العصر المملوكى حتى وفاته عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م[١]. كذلك جاور عدد من المصريين بالمدينة المنورة، ولكن لم تمدنا المصادر بمدة المجاورة[٢]. وكان للمجاورة ـ سواء فى مكة المكرمة أو المدينة المنورة ـ آثار عديدة منها:

١ ـ الأثر الدينى:

كانت الغاية من المجاورة لمعظم المجاورين فى الحرمين الشريفين الانقطاع للعبادة، والاحتماء بحرم الله، ابتغاءً لفضله ورضوانه. فجاور عدد كبير من المصريين الصلحاء الذين كانوا ينهجون نهج المتصوفة، فألزموا أنفسهم الزهد فى الدنيا وشدة العبادة، كما ألزموا أنفسهم ضروباً من المجاهدات والرياضات التى قصد بها تصفية النفس، وتقوية الروح. ويلاحظ أن هؤلاء المجاورين قد نالوا حظاً من العلوم الدينية ـ بالسماع أو الإجازة ـ ولذلك كان لهم ـ بالإضافة للأثر الروحى ـ فى المجتمع أثر ثقافى.

ومن هؤلاء المجاورين عبد العزيز بن محمود بن عبد الرحمن المالكى، المعروف بابن القصار (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، صَحِبَ جماعة من الصالحين، وكان زاهدًا على طريقة حسنة، يؤثر الانفراد عن الناس، وترك مالا يعنيه[٣].

أما الزاهد ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن المصرى (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) فكان زاهدًا، وقد ذكره القطب القسطلانى[٤] فى شيوخه الصوفية[٥].

(١) العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار مَنْ ذَهَب، بيروت، ١٩٦٦، جـ٥، ص ٤٣٦.
والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ١، ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

(٢) عن المجاورين الذين جاوروا فى المدينة المنورة بدون تحديد مدة المجاور. انظر:
، المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، جـ٢، ص ٢٠٨، ٢٠٩.
، والفارسى: العقد الثمين، جـ١٣، ص ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨.
، والجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، القاهرة ١٩٣٢، ص ٤.

(٣) المنذرى: مصدر سابق، جـ٣، ص ٢٦٤.
، والذهبى: تاريخ الإسلام، الطبعة ٦٣، ص ٢٦٣.
، والفاسى: مصدر سابق، جـ٥، ص ٤٦٠، ٤٦١.

(٤) القطب القسطلانى، أبو بكر بن أبى العباس المصرى، جاور بمكة، وتولى وظيفة الإفتاء، ثم تولى وظيفة القضاء. ت بمصر ٦٨٦هـ/ ١٢٨٨م. انظر:
، الفاسى: العقد الثمين ، جـ١، ص ٣٢٢.
، والسخاوى: التحفة اللطيفة، جـ٣، ص ٤٨٦.

(٥) الذهبى: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، الطبعة الرابعة والستون، ص ٢٠٧.

أما المجاور أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد المكنى أبو العباس القسطلانى المصرى المولد (ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) فقد سمع الحديث بمصر من أبى القاسم البوصيرى[١]، وبمكة من يونس بن يحيى الهاشمى، صحيح البخارى[٢]، ومن جويكار السّجزى[٣]، ومن زاهر بن رستم إمام المقام[٤]، وأبى عبد الله بن البنا الصوفى[٥] وأخذ عنه الطريقة، والفقيه تقى الدين بن أبى الصيَّف[٦]. وقد صحب جماعة من مشايخ الطريق[٧]، وكان قد جمع الفقه والزهد، وكثرة الايثار مع الإقبال، والانقطاع التام مع مخالطة الناس[٨] ثم نزع بنفسه إلى خدمة الصالحين، والانضواء إلى أهل الدين[٩].

(١) أبو القاسم البوصيرى هو هبة الله على بن مسعود الأنصارى الكاتب الأديب، مسند الديار المصرية، سمع من أبى صادق المدينى وطائفة. ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م. انظر:
الذهبى: العبر، جـ٣، ص ١٢٥.
، والعماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، نص ٣١٨.
، والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ١، ص ٣٧٥.

(٢) هو الشريف يونُس بن يحيى بن أبى الحسن بن أبى البركات الهاشمى العباسى، أبو محمد البغدادى نزيل مكة، حدث عن أبى الوقت بصحيح البخارى، وسمع عليه وعلى جماعة.
وحدث بصحيح البخارى ولبس خرقة التصرف من الشيخ عبد القادر الكيلانى ت ٦٠٨هـ/ ١٢١١م. انظر:
الفاسى: مصدر سابق، جـ٧، ص ٥٠٠.

(٣) جويكار السّجزى هو محمد بن أحمد بن أحمد بن الحسن السجزى، أبو عبد الله المكى المقرى. سمع منه ابن أبى الصيف ـ جاور بالحرمين، وحدّث حتى توفى. كان حيًا عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، وهو معدود فى مشيخة الحرم بمكة. انظر:
الفاسى: مصدر سابق، جـ١، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٤) زاهر بن رستم، الأصبهانى الأصل، البغدادى المولد، إمام المقام الشريف بالمسجد الحرام، قرأ بالروايات على أبى الكرم الشهرزورى، وسمع من أبى الفتح الكرخى جامع الترمذى، وحدث ببغداد وواسط ومكة، وتفقه على مذهب الشافعى، وصحب الصوفية ت ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، انظر:
العماد الحنبلى: مصدر سابق، جـ٥ ، ص ٣٧.
، والفارسى: مصدر سابق، جـ٤، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٥) هو ابن البنا البغدادى على بن نصر بن المبارك، الواسطى الأصل، سمع من أبى الفتح الكرخى جامع الترمذى، مع كتاب العلل بمكة حدث به فى مكة ومصر والإسكندرية ودمياط، ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. انظر:
الفاسى: العقد الثمين، جـ٦، ص ٢٧١.

(٦) تقى الدين بن أبى الصيف هو محمد بن إسماعيل بن على اليمنى الشافعى، فقيه مكة، حدث عن ابن عمار الأطرابلس بصحيح البخارى، وعن الميانشى بجامع الترمذى. سمع منه جماعة بمكة، وحدث بها ودرس وأفتى كثيرًا، انتهت إليه رئاسة الفقه ت ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م
انظر: الفاسى: مصدر سابق، جـ١، ص ٤١٥ ـ ٤١٦:

(٧) السخاوى: التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، جـ١، ص ٢٠٤.

(٨) المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، جـ٣، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩.
، والذهبى: تاريخ الإسلام، الطبقة الرابعة والستون، ص ٢٦١.
، وابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، جـ١، ص ٢٣٩، ٢٤٠.
، والفاسى: مصدر سابق، جـ٣، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
والسخاوى: مصدر سابق، جـ١، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٩) الفاسى: مصدر سابق، جـ٣، ص ١٠٦.

أما الفقيه الصوفى عبد المعطى بن محمود بن عبد المعطى بن عبد الخالق، المكنى بأبى محمد بن أبى الثناء الإسكندرى (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) فقد كان مشهوراً بالزهد والصلاح. سمع من أبى الفضل عبد المجيد بن دليل، وأبى القاسم عبد الرحمٰن بن مفرق الأنصارى، وغيرهما، وحدث. كما كانت له معرفة بأصول الدين ومذهب مالك، وصنف كتباً فى الرقائق، وعلم الباطن، وشرح الرعاية للمحاسبى[(١)] ورسالة القشيرى[(٢)].

أما الزاهد إسماعيل بن يغلب المصرى، (ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) فقد ذكره القطب الحلبى فى تاريخ مصر وقال: الفقير المسافر[(٣)]. والفقر عند الصوفية السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود. والفقير لاتكون له رغبة، فإن كان ولابد فرغبته لاتجاوز كفايته وأقل ما يلزم الفقير فى فقره، أربعة أشياء: علم يسوسه، وورع يحجزه، ويقين يحمله، وذكر يؤنسه[(٤)].

كذلك جاور مصطفى بن محمود بن موسى، الشيخ الصالح المحدث صفى الدين أبو عبد الله بن أبى الثناء المصرى (ت٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) نزيل مكة شرفها الله تعالى. أجازه أبو محمد بن الطباخ[(٥)]، وقد ذكره ابن مسدى[(٦)] فى معجمه فقال: أحد المشيخة الصلحاء من مجاورى الحرم الشريف[(٧)].

وهناك المجاور قطب الدين الشيخ أبو بكر ابن الشيخ أبى العباس القسطلانى، المولود بمصر عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، والذى سمع على الشيخ شهاب الدين السهروردى[(٨)].

---

(١) المحاسبى هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى البصرى ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٥م الزاهد المشهور، له كتب فى الزهد والأصول، أهمها كتابه الرعاية. انظر:
ابن خلكان: وفيات الأعيان، بيروت ١٩٦٨، جـ٢، ص ٥٧، ٥٨.

(٢) الفاسى: مصدر سابق، جـ٥، ص ٤٩٧، ٤٩٨.
، والقشيرى: أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الفقيه الشافعى، كان علاّمة فى الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب وعلم التصوف، ولد بنيسابور عام ٣٧٦هـ/ ٩٨٥م وأخذ بالتصوف، وصنف الرسالة القشيرية ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٤م. انظر:
ابن خلكان: مصدر سابق، جـ٣، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٣) الفاسى: العقد الثمين، جـ٣، ص ٢٩٩.

(٤) أحمد حنفى نصار القوصى: مع التصوف الإسلامى، معارج ونماذج، القاهرة ١٩٨٢، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٥) هو المبارك بن الطباخ بن على بن الحسين، أبو محمد البغدادى، نزيل مكة، وإمام الحنابلة بالحرم، المحدث الحافظ، سمع الكثير ببغداد، كان صالحًا دينًا، ثقة، حافظ مكة فى زمانه، توفى ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، انظر: العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص ٢٥٣.

(٦) ابن مسدى الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف الأزدى الغرناطى الأندلسى. كان حافظاً، علاّمة، شاع عنه التشيع. جاور بمكة وتوفى فيها ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م. انظر: العماد الحنبلى: مصدر سابق، جـ٥، ص ١١٣.

(٧) الفاسى: مصدر سابق، جـ٧، ص ٢٠٤.

(٨) السهروردى شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد، كان فقيهًا شافعياً، ورعاً، كثير الاجتهاد، تخرج عليه خلق كثير من الصوفية، وله تواليف حسنة، منها كتاب «عوارف المعارف»، جاور بمكة، وتوفى ببغداد ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. انظر:
ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص ٤٤٦، ٤٤٨.

وقد أُسندت بعض الوظائف الدينية إلى المجاورين المصريين، فقد تولى وظيفة الفتوى الشيخ قطب الدين أبو بكر ابن الشيخ أبى العباس القسطلانى المصرى، وذلك فى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، وظل متولياً وظيفة الإفتاء فيما بعد ذلك كثيراً[١]. كما تولى هذا المجاور أيضاً وظيفة القضاء، حيث عُين فى قضاء مكة فى عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م[٢].

ومن الوظائف الدينية التى تولاها بعض المجاورين المصريين وظيفة المؤذن، فهناك المجاور عبد الرحمٰن بن محمد بن أبى الطاهر محمد بن عبد الرحمٰن المصرى، الذى كان مؤذناً بالحرم الشريف بمئذنة دار الندوة. وقد وُلد هذا الرجل عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م. وتلقى وظيفة المؤذن عن أبيه عن جده[٣]. ومن ذلك نستنتج أن جده ابن أبى الطاهر محمد قد تولى وظيفة الأذان فى الفترة الزمنية التى نحن بصددها.

وفى الحرم النبوى الشريف تولى وظيفة المؤذن إبراهيم بن محمد بن المرتضى، وكان حَسَنَ الأداء، طيب الخُلُق، حسن الصوت[٤]، وكان تولّيه هذه الوظيفة فى النصف الأول من القرن السابع ـ لأن ابنه محمدًا الفقيه المكنى بأبى عبد الله الكنانى المصرى، المولود بالقاهرة عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م قد تولى منصب رئيس المؤذنين بالمدينة المنورة ـ بعد أبيه ـ وجاء على شاكلته من حيث حُسن الأداء وحُسْن الصوت، كما كان من الفقهاء النبهاء[٥].

ولم يجد الباحث ـ فى الفترة الزمنية لبحثه ـ أياً من المجاورين بعمل بالخدمة فى المسجد الحرام، والمسجد النبوى الشريف. ويرجع ذلك لأن السلطان صلاح الدين الأيوبى حين تولى أمر بلاد الحجاز عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، أرسل فتياناً من الأحباش والصقالبة، وكساهم بملابس بيضاء، وعلّق عليها شارات خاصة بهم، فكان أول سلطان وضع قاعدة خُدَّام الحرمين الشريفين، وأوقف لهم الأوقاف[٦] وقد شاهدهم ابن بطوطة فى رحلته

(١) الفاسى: العقد الثمين، جـ١، ص ٣٢٢.
، والسخاوى: التحفة اللطيفة، جـ٣، ص ٤٨٦.
(٢) الفاسى: مصدر سابق، جـ١، ص ٣٢٣.
(٣) المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٠٧.
(٤) السخاوى: مصدر سابق، جـ٣، ص ٤٥٨.
(٥) المصدر السابق، جـ٣، ص ٤٥٨.
(٦) ابن جبير: رحلته، ص ١٥٣.
وسليمان عبد الغنى المالكى: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد، الرياض ١٩٨٣، ص ١١٢.

للمدينة المنورة وقال: «خدام المسجد الشريف وسدنته فتيانٌ من الأحابيش، وسواهم. وهم على هيئات حسان، وكبيرهم يعرف بشيخ الخدم، ولهم مرتبات بديار مصر والشام، وتؤتى إليهم فى كل سنة»(١). وأهم وظائفهم المحافظة على المسجد النبوى نهاراً، وقفل أبوابه وحراسته ليلاً، وتنظيف القناديل، ومسحها، وتنظيف المسجد، وإيقاد البخور للمسجدين، وتطيب الكعبة بالعطور(٢).

كما كان للمجاورين المصريين ـ مع غيرهم من المجاورين من مختلف أمصار العالم الإسلامى ـ دور فى رؤية أهِلَّة الشهور العربية، لتحديد بدايات تلك الشهور، والشهادة بذلك عند الأمير والقاضى وإمام المسجد الحرام. فابن جبير فى رحلته إلى مكة عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م هَلَّ عليه شهر رجب بشهادة خَلْق كثير من المجاورين(٣).

٢ ـ الأثر الثقافى:

كان أغلب المجاورين المصريين الذى حفظت لنا المصادر المعاصرة أسماءهم، من رجال العلم الذى تركوا آثاراً ثقافية واضحة فى مجتمع الحرمين الشريفين، وقد أسهم فى ذلك وجود حلقات العلم والدراسة بالحرمين الشريفين، إذ كانت المقامات الأربعة لاجتماع أتباع المذاهب الأربعة، كل فى مقامه للصلاة والدراسة. وقد شاهد ابن جبير فى رحلته لمكة حلقات المدرسين وأهل العلم فى المسجد الحرام(٤).

وقد ساعدت تلك الحلقات العلمية على سماع طلاب العلم من المجاورين لمختلف العلوم الدينية، من قراءات وتفسير، وحديث، وفقه، بالإضافة إلى قيام العلماء منهم، برواية العلم. كما أسهم بعض العلماء المجاورين فى التدريس بالمدارس التى أُنشئت بمكة فى الفترة الزمنية موضوع البحث.

كانت الرحلة فى طلب العلم أمراً شائعاً فى ذلك الوقت، فقد كان هناك حرص على لقاء العلماء المشهورين لأخذ العلم منهم عن طريق السماع، وشجع السَّعْى فى طلب

---

(١) رحلته، القاهرة ١٩٣٤، جـ١، ص ٩٥، ٩٦.
(٢) ابن جبير: مصدر سابق، ص ١٥٣.
والسخاوى: التحفة اللطيفة، جـ١، ص ٥٠.
(٣) رحلته، ص ٩٤.
(٤) المصدر السابق، ص ٦٠.

العلم ومجاورة الحرمين الشريفين كثرةُ الأربطة التى كانت معَدَّة لإيواءهم بالمجان، والنفقة عليهم، من ريع الأوقاف عليها[١].

وممن جاء إلى مكة للمجاورة، وسمع علم القراءات، محمد بن حمد بن غياث الأنصارى المصرى (ت ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، سمع بمصر، ثم رحل إلى مكة، وسمع من المبارك بن الطباخ وقرأ عليه القراءات. كما أجاز له أبو الحسن على بن الحسين بن عمر الموصلى، وهو من بيت القرآن والحديث والصلاح[٢].

والمجاور الشيخ الصالح أبو محمد عبد العزيز بن إسماعيل بن أبى محمد بن زيد الدمياطى الشافعى، المقرئ المعروف (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، سمع بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ من الحافظ أبى الفتوح نصر بن أبى الفرج بن على الحصرى[٣]. وسمع من أبى الفرج يحيى بن ياقوت بن عبد الله الفراش[٤] كما سمع من غيرهما[٥].

كما جاور وسمع علم القراءات حامد بن أحمد بن حمد بن حامد المصرى المقرئ (ت ٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، سمع من المبارك بن الطباخ بمكة[٦].

وممن جاء إلى مكة المكرمة لسماع علم الحديث القاضى الأجَلُّ أبو القاسم هبة الله بن يحيى التميمى الشافعى المصرى (ت ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)، سمع من أبى الفتح عبد الملك ابن أبى القاسم الكرّوخى[٧]، وبعد عودته إلى مصر حَدَّثَ، وكان ممن يُرْجَع إليه فى الأمور الدينية[٨].

---

(١) عن الأربطة بمكة انظر: شفاء الغرام، جـ١ ، ص ٣٣٠ إلى ٣٣٦.

(٢) ابن رجب: كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، وقف على طبعه محمد حامد الفقى، القاهرة ١٩٥٣، جـ٢، ص ٣٨.

(٣) أبو الفتوح بن الحصرى، الحافظ برهان الدين البغدادى الحنبلى المقرئ، جاور بمكة، وتوفى باليمن عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. انظر: الذهبى: العبر، جـ٣، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.
وأبو شامة: الذيل على الروضتين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٧، ص ١٣٣.

(٤) أبو الفرج يحيى بن ياقوت بن عبد الله البغدادى، شيخ الحرم، حدث ببغداد وبمكة، وجاور بها، وسمع منه جماعة من أهلها ، ثم عاد إلى بغداد، وتوفى عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م. انظر: الفاسى: العقد الثمين، جـ٧، ص ٤٥١، ٤٥٢.

(٥) المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، جـ٢، ص ٢٤٣.

(٦) الذهبى: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، الطبقة الثانية والستون، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٧) أبو الفتح الكروخى الهروى، الرجل الصالح، راوى جامع الترمذى. كان ورعاً، ثقة، حَدَّثَ ببغداد ومكة، وتوفى عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. انظر:
العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص ١٤٨.

(٨) المنذرى: التكملة، جـ٢، ص ١٠٦، ١٠٧.
والذهبى: تاريخ الإسلام، الطبقة الحادية والستون، ص ١٤٧.

أما الشيخ الحافظ أبو الطاهر إسماعيل بن أبى محمد عبد الله الأنصارى المصرى الشافعى (ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) فقد سمع بمصر والإسكندرية، وسمع بمكة من أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الأشكيذيانى(١) وغيره(٢).

وسمع أيضاً الحديث بمكة، الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الصمد الشافعى المصرى الذى تفقه على مذهب الإمام الشافعى بمصر (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)، وسمع بمكة من المنتخب أبى الحسن الريحانى(٣)، والشريف أبى محمد يونس بن يحيى الهاشمى، كما سمع من غيرهما(٤).

وممن جاور وتعلم الفقه بالسماع، الشيخ الفقيه أبو المنصور فتح بن محمد بن على بن خلف السعّدى الدمياطى الشافعى، سمع بمصر من أبى الطاهر السلفى(٥)، وسمع بمكة من الفقيه أبى محمد عبد الدائم بن عمر العسقلانى(٦)، ثم عاد إلى مصر، فحَدَّث بالقاهرة ودمياط، وكانت عنده معارف كثيرة، وله شعر حسن، وصنف تصانيف مفيدة فى فنون عديدة(٧).

وممن جاور بالمدينة المنورة وسمع بها العلم، القاضى الأجل أبو إبراهيم إسماعيل بن القاضى، أبو القاسم عبد الملك بن عيسى المنعوت بالعماد (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)، تفقه على مذهب الإمام الشافعى، وصحب جماعة من الصالحين. سمع بمصر من والده، ومن

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن على الأشكيذيانى، كان حنبلياً مُحَدِّثاً، نزل بمكة، فكان عظيم الحنابلة بها، وحَدَّث بمكة، وأقام بها، وأمَّ بها فى موضع الحنابلة ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م.
انظر: العماد الحنبلى: مصدر سابق، جـ٤، ص ٣٠٤، ٣٠٥.
(٢) المنذرى: مصدر سابق، جـ٢، ص ٧٩.
(٣) على بن الحسن بن على بن محمد، أبو الحسن المعروف بالريحانى المكى، سمع بمكة وحدَّث بها، ت ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م.
انظر: الفاسى: العقد الثمين، جـ٦، ص ١٤٩ ـ ١٥١.
(٤) المنذرى: مصدر سابق، جـ٣، ص ٢٠٨.
(٥) الحافظ أبو الطاهر السلفى أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهانى، سمع ببغداد، والكوفة، والحرمين، والبصرة، وهمدان، وأذربيجان، والرى، والدينور، وقزوين، والشام، ومصر، واستوطن الإسكندرية، وسمع منه الكثيرون ت ٥٧٦هـ/ ١١٧٨م. انظر: الذهبى: العبر، جـ٣، ص ٧١ واليافعى: مرآة الجنان، جـ٣، ص ٤٠٣.
(٦) أبو محمد عبد الدائم بن عمر العسقلانى جاور مكة سنين، وكان أحد الصالحين. انظر: الفاسى: العقد الثمين، جـ٥، ص ٣٣٩.
(٧) المنذرى: التكملة، جـ٢، ص ١٧٠.

أبى القاسم البوصيرى، أما فى مدينة رسول الله ﷺ فسمع من الشيخ أبى محمد جعفر ابن آموسان الأصبهانى[١] وأجاز له جماعة كبيرة[٢].

أما المجاورون الذين قاموا برواية العلم فى الحرمين الشريفين فنجد أنهم انقسموا بين رواة للحديث، ومدرسين للفقه.

وممن جاور بمكة لرواية الحديث محمد بن فرقد بن هوشاب، ظهير الدين الشيبانى الإسكندرى، نزيل مكة، حدث بخمسة عشر جزءاً من جامع الترمذى بالحرم الشريف، سمعها منه على أبو الحسن بن البنا، وسمعها من الأخير سليمان بن خليل العسقلانى فى مجالس، آخرها عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، ولعله قرأ الكتاب كله، فإن سليمان بن خليل سمعه لكماله، وحدث به عن ابن البنا[٣].

أما عبد العزيز بن محمود بن عبد الرحمن، أبو محمد المالكى، فهو من فضلاء المصريين (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) تفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، واشتغل بعلم الحديث، وأقبل عليه إقبالاً كثيراً. واختصر كتاب الحميدى فى «الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك كَتَبَ بخطه كثيراً، وجاور مكة شرفها الله تعالى مدة[٤].

أما المجاور تاج الدين، أبو الحسن بن الشيخ أبى العباس القسطلانى المصرى المولود بمصر عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٠م فقد سمع من الشزيف يونس بن يحيى الهاشمى صحيح البخارى، ومن زاهر بن رستم جامع الترمذى، ومن ابن الفتح الحصرى مسند الشافعى، وسنن أبى داود، والنسائى بمكة، وسمع أيضاً من ابن أبى الصيِّف، وأبى عبد الله بن البنا، وكان أحد المشايخ المشهود لهم بالفضل والدين، المعروفين بحسن الخُلق، ومحبة الحديث لأهله، وكانت إقامته بمكة أعواماً كثيرة مع والده، وحدَّث بها، وسمع منه الأعيان[٥].

---

(١) الشيخ أبو محمد جعفر بن آموسان الأصبهانى الواعظ، روى الكثير، وحج فأدركه الأجل بالمدينة المنورة عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، انظر: العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٥، ص ٢٥.

(٢) المنذرى: مصدر سابق، جـ٢، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) الفاسى: العقد الثمين، جـ٢، ص ٢٥٦.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام، الطبقة الثالثة والستون، ص ٢٦٣.
والمنذرى: التكملة، جـ٣، ص ٢٦٤.
والفاسى: مصدر سابق، جـ٥، ص ٤٦٠، ٤٦١.

(٥) المصدر السابق، جـ٦، ص ١٣٦، ١٣٧.

ومن المجاورين الذين قاموا بتدريس الفقه أبو العز مظفر بن عبد الله بن على بن الحسين الشافعي، الإمام تقى الدين المصرى (ت ٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، كان إماماً فى الفقه، والخلاف، وأصول الدين، صنف التصانيف الكثيرة، وتخرج به خلق، سمع بالإسكندرية، وحدَّث بالقاهرة، ثم سافر إلى مكة وحدث بها، وكان كثير الإفادة، منتصبًا لمن يقرأ عليه[١].

أما الفقيه الورع بهاء الدين بن الجميزى على بن هبة الله بن سلامة (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) فقد رحل به أبوه وهو ابن عشرة أعوام، فسمع بدمشق، وبعداد، وبالإسكندرية. وكان رئيساً للعلماء بالقاهرة فى وقته، وروى عنه خلق من أهل مكة[٢]، مثل محمد بن عبدالرحمن بن محمد الأزدى، ويُلقب بابن الملجوم المكى (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م)[٣].

ولم يقتصر نشاط المجاورين المصريين على علوم الدين، بل تعداها إلى الأدب أيضاً. وهناك شاعر وأديب جاور بمكة يقال له أبو القاسم بن أبى الحسن شرف الدين، المعروف بابن الفارض، وهو حموى الأصل لكنه مصرى، فقد ولد فى مصر عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م وتوفى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م وهو الشاعر المشهور الملقب بسلطان العاشقين، برع فى الأدب وكان فصيح العبارة، دقيق الإشارة. وكان حَسَن النظم متوقد الخاطر[٤].

كذلك قام المجاورون المصريون بجهد تدريسى فى المدارس التى أُنشئت بمكة، وقد أنشئت هذه المدارس بجهود شخصية، واعتمدت فى ذلك على الأوقاف فى أداء رسالتها

(١) المنذرى: مصدر سابق، جـ٢، ص ٣٤٣.
والذهبى: تاريخ الإسلام، الطبقة الثانية والستون، ص ١٩٢.
والسبكى: طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٠٦، جـ٥، ص ١٥٦.
والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ١، ص ١٩٠.
(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٤، جـ ٢٣، ص ٢٥٣، ٢٥٤
وابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، جـ١، ص ٥٨٣.
و السبكى: مصدر سابق، جـ٥، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩.
والصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٢٢، ص ٢٨٤.
(٣) الفاسى: العقد الثمين، جـ٢، ص ١١٠.
(٤) المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٤٩، ٣٥٠.
والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ١، ص ٥١٨.

العلمية، فقد كان ريع الأوقاف هو المصدر المالى الأساسى والوحيد للمدارس التى أنشئت فى الحرمين الشريفين، وكانت وثيقة الوقف، بمثابة لائحة تنفيذية للمدرسة[١].

وممن جاور وقام بالتدريس الفقيه أبو الوفاء الحنفى، صديق بن يوسف بن قريش، وكان مولده عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٢م، وسمع بالإسكندرية من الحافظ أبى طاهر السِّلَفى، ومن أبى القاسم البوصيرى بمصر، واستوطن الديار المصرية زمناً، وولى بها حسبة البلد زمناً، ثم حج إلى مكة، وقام بالتدريس فى مدرسة ابن الزنَّجيلى وهى قرب باب العمرة للحنفية[٢]، وكان كثير الولوع بصناعة الكيمياء[٣].

أما الفقيه المفتى الشافعى، ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن حاتم المصرى (ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) فقد سمع صحيح البخارى من أبى الحسن على بن حميد بن عمار الأطرابلس، وحدَّث عنه وعن أبى محمد بن الطباخ، وقرأ الفقه على الإمام تقى الدين بن أبى الصيِّف وغيره، وكان يدرس فى المدرسة التى أنشأها ابن الأرسوفى[٤] بمكة خارج باب العمرة وكان رجلا مشهوراً ينقل من مسائل الفقه، وكُتب العلم وأهله، ويصحب أهل الفضائل ويلازمهم للإفادة والاستفادة[٥].

أما أبو القاسم القوصى وجيه الدين عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان (ت ٦٤٣هـ/ ١١٤٨م) فقد تفقه لأبى حنيفة، وسمع من ابن برّى[٦]، وقام

(١) عن مدارس مكة المكرمة وأوقافها انظر:
الفاسى: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، ص ٣٢٨، ٣٣٠.
والفاسى أيضاً العقد الثمين، جـ١، ص ١١٧، ١١٨.

(٢) مدرسة الزنجيلى هى المدرسة الأمير فخر الدين عثمان بن على، كان نائباً بعدن للسلطان صلاح الدين الأيوبى، وتاريخ وقف المدرسة عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، ولها أوقاف كثيرة. وتوفى الأمير فخر الدين مؤسس المدرسة عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. انظر:
الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ٣٢٨، والعقد الثمين، جـ٦، ص ٣٤، ٣٥.

(٣) الفاسى: العقد الثمين، جـ٥، ص ٣٩.

(٤) مدرسة ابن الأرسوفى هى مدرسة العفيف عبد الله بن محمد الأرسوفى، وهى معروفة له، وتقع بقرب باب العمرة، ولا يعرف الفاسى تاريخ وقفها، إلا أنه يقول: إن لها أزيدَ من مائتى عام، وبذلك يرجع تاريخ وقفها فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى. انظر:
الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ٣٣٠.

(٥) الفاسى: العقد الثمين، جـ٧، ص ٣١٦، ٣١٧.

(٦) ابن برى: الإمام العلامة، نحوى وقته، وهو ابن محمد بن عبد الجبار المقدسى، ثم المصرى، تصدر بجامع مصر للعربية، وكان عالماً بكتاب سيبويه (ت ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، القاهرة بدون تاريخ، جـ ١٢، ص ٣١٩.
والذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص ١٣٦، ١٣٧.

بالتدريس بمكة أثناء مجاورته[١]، ويعتقد أنه كان يقوم بالتدريس فى إحدى المدارس التى كانت موجودة فى مكة[٢]، أو فى الحرم المكى الذى كان «محدقاً بحلقات المدرسين وأهل العلم»[٣].

كما قام القطب أبو بكر بن أبى العباس القسطلانى، المصرى المولد، حيث ولد عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وحمله أبوه عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م إلى مكة، فنشأ بها وسمع بها، ودرس بمدرسة دار زبيدة[٤] بالحرم بحضرة والده[٥].

وهكذا أسهم المجاورون المصريون فى تطوير وازدهار الدراسات الدينية، وقدموا خدمات ثقافية جليلة مع غيرهم من المجاورين من مختلف أمصار العالم الإسلامى، مما أدى إلى نبوغ الكثيرين من أبناء الحرم الشريف متأثرين بهذا الجو الروحى والعلمى الذى ساد مكة المكرمة.

ومن هؤلاء الذين تأثروا بهذا الجو العلمى أبو عبد الله المكى، محمد بن عبد الله بن محمد بن مقبل، الذى سمع من يونس الهاشمى صحيح البخارى، ومن زاهر بن رستم، ومن أبى الفتوح الحصرى، وحدَّث، وسمع منه أبو محمد عبد الله بن عبد العزيز المهدوى، وأجاز لفاطمة بنت القطب القسطلانى. وإخوتها، باستدعاء أبيهم سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، وسمع منه الحافظ الدمياطى بمكة، ووصفه بالفقيه، وكان حج الدمياطى عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م[٦].

ومنهم أبو محمد المكى عبد العزيز بن عيسى بن محمد بن عمران الحجى، سمع من الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، وحدث، وسمع منه أبو المعالى بن القسطلانى، وتوفى عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م[٧].

---

(١) الأدفوى: الطالع السعيد، ص ٢٩٥.
والصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٨، ص ٢٥٨.
والسيوطى: حسن المحاضرة، جـ١، ص ٤٦٥.
(٢) الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ٣٢٨، ٣٣٠.
(٣) ابن جبير: رحلته، ص ٦٠.
(٤) مدرسة دار زبيدة، يبدو أنها مدرسة طاب الزمان الحبشية تاريخ وقفها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م وهى من دار زبيدة. انظر: الفاسى: العقد الثمين، جـ١، ص ١١٧.
(٥) السخاوى: التحفة اللطيفة، جـ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦.
(٦) الفاسى: مصدر سابق، جـ٢، ص ٨٩، ٩٠.
(٧) المصدر السابق، والجزء، ص ١١٠.

ومنهم أيضًا ابن الملجوم، محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد الأزدى، الذى سمع من ابن الجميزى، وابن أبى الفضل المرسى، ثم رحل فسمع بدمشق وحلب وحران وبغداد ومن بعض شيوخ الحافظين قطب الدين العسقلانى، وشرف الدين الدمياطى، وكانت وفاته عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م[١].

٣ ـ الحياة الاجتماعية للمجاورين المصريين:

كان المجاورون المصريون يشكلون جزءًا فى البناء الاجتماعى لمجتمع الحرمين الشريفين، فقد استقروا واندمجوا مع السكان الأصليين، وقد أدت الأهمية الدينية للحرمين إلى زيادة أعدادهم، بالإضافة إلى قرب المسافة بين البلدين، وارتباط أشراف مكة والمدينة بسلاطين الدولة الأيوبية.

وقد ساعدهم على المجاورة كثرة الأربطة التى أُقيمت فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لسكناهم. وقد أسهم بعض المصريين من ذوى اليسار فى إنشاء أربطة فى مكة والمدينة، أسهمت هى بدورها فى تسهيل إقامة المجاورين.

فقد أنشأ على بن عبد الوهاب بن محمد القاضى، أبو الحسن المفتى الإسكندرى (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م) رباطاً بأسفل مكة، وعلى بابه حجر مكتوب عليه: أنه وقفه وحبسه وتصدق به على فقراء العرب الغرباء المتعبدين، وذوى الحاجات المجردِّين، ليس للمتأهلين فيه حظ ولا نصيب، وذلك عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م. وكان صاحب الرباط شامل المبرات، كثير الطاعات، وله على رباطه بمكة وقف[٢].

كما أنشأ على بن محمد المصرى الرباط المعروف برباط غُزىّ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه: أن وقفه على الفقراء والمساكين الرجال المجردين، من أى جنس كان من المسلمين، وذلك عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م[٣].

وهناك العديد من الأربطة فى مكة كانت موقوفة على فقراء المسلمين المجاورين، وكان شرط الوقف يسمح للمجاورين المصريين بسكناها، مثل رباط السِّدرة الذى كان أول رباط أقيم فى مكة، ويرجع تاريخه إلى مطلع القرن الخامس الهجرى، ويقع بالجانب

(١) المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٥٦.
(٢) الفاسى: العقد الثمين، جـ٦، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٣) المصدر السابق والجزء، ص ٢٦٠.

الشرقى من المسجد الحرام على يسار الداخل إليه من باب بنى شيبة، وكان موقوفًا فى عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م لسكنى المنقطعين من المجاورين[١] ورباط القاضى صدر الدين أبى بكر المراغى، ويقع على باب الجنائز بمكة، وقد أوقفه صاحبه عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م على الغرباء الواصلين إلى مكة، والنازلين فيه[٢]. وهناك رباط البانياسى الذى يقع على يسار الذاهب إلى الصفا، وقد وقفه الأمير فخر الدين البانياسى عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م[٣]. والرباط المعروف برباط ربيع، الذى أوقفه السلطان نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين الأيوبى عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م[٤]. ورباط العفيف الأرسوفى، صاحب المدرسة التى تجاوره، وقد أوقفه سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، يتبين ذلك من الحجر الذى على بابه[٥]، وإنْ كان العقد الثمين يجعل وقفه عام ٥٩١هـ/ ١١٩٤م[٦].

كما وجدت أربطة بمكة اشترط واقفوها أن يقيم بها الصوفية والزهاد من المجاورين وقد سمح شرط الوقف على إقامة المجاورين المصريين من الصوفية والزهاد، مثل رباط أم الخليفة الناصر العباسى، وتاريخ وقفه عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م حسب الخشب الذى على بابه[٧]. ورباط الخاتون وتاريخ وقفه عام ٥٧٧هـ حسب الحجر الذى على بابه، وقد أوقف على الصوفية والرجال الصالحين، والتى أوقفته هى الشريفة فاطمة بنت الأمير أبى ليلى محمد بن أنوشروان الحسنى[٨]. وهناك الرباط المعروف برباط الخورى، والذى أوقفه الأمير قرامر بن محمود الفارسى عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م حسب الحجر الذى على بابه[٩].

كما كان هناك بالمدينة المنورة رباط القاضى محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم صدر الدين أبو بكر المراغى، الذى أنشأه مجاورًا لحرم النبى ﷺ، وكان قد أوصى أنْ يُدفن فيه، ولذلك نُقل إلى المدينة المنورة بعد وفاته عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م لدفنه هناك[١٠].

---

(١) الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ٣٣٠.
(٢) الفاسى: العقد الثمين، جـ٢، ص ٦٧.
(٣) المصدر السابق، جـ١، ص ١٢٠، وفى شفاء الغرام، جـ٢، ص ٣٣٣.
(٤) المصدر السابق، والجزء، ص ١٢١، ونفس المصدر السابق والجزء، ص ٣٣٥.
(٥) الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ٣٣٦.
(٦) الفاسى: العقد الثمين، جـ١، ص ١٢٢.
(٧) المنذر السابق والجزء، ص ١١٨.
(٨) المصدر السابق والجزء، ص ١١٩.
(٩)الفاسى: شفاء الغرام، جـ١، ص ٣٣٢.
(١٠) الفاسى: العقد الثمين، جـ٢، ص ٦٦، ٦٧.

هذا ولم يكن المجاورون المصريون بمعزل عن حياة المجتمع المكى أو المدنى، يتضح ذلك حينما أجدبت المدينة المنورة، فاتفق رأيهم على أن يستسقوا يومًا، والمجاورون يومًا، فاستسقى أهل المدينة يومهم فلم يسقوا، فقام المجاور أبو العباس القسطلانى المصرى بعمل طعام للضعفاء والمساكين، واستسقى مع المجاورين فَسُقُوا[١]. وفى مكة المكرمة كان هذا المجاور يعول فى اليوم ثمانين فقيرًا[٢].

كذلك تمتع المجاورون المصريون بكرم أهل مكة، فقد كانت لهم الأفعال الجميلة، والمكارم التامة، والأخلاق الحسنة، والإيثار للضعفاء والمنقطعين، وحُسن الجوار للغرباء، ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء والمنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بلطف ورفق، وحُسن خلق، ثم يطعمهم»[٣]. كما كانوا يجودون بالصدقات الكثيرة على المجاورين، والمحتاجين فى الليالى المباركة[٤]. ويمكننا بعد هذا الحديث السريع عن المجاورين المصريين فى الحرمين الشريفين أن نخلص إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن الأهيمة الدينية للحرمين الشريفين استأثرت باهتمام عدد كبير من المصرينين للمجاورة.

الحقيقة الثانية: تباينت فترة المجاورة، فكانت عامًا واحدًا فى بعض الأحيان، وامتدت فكانت أربعة وستين عامًا مع مجاور آخر، وهناك من فضل البقاء بالحرمين الشريفين حتى وفاته.

الحقيقة الثالثة: نتج عن جوار عدد من الزهاد والصوفية شيوع حياة الزهد والورع فى مجتمع الحرمين الشريفين.

الحقيقة الرابعة: أسهم المجاورون المصريون فى الحياة الثقافية والعلمية فى مجتمع الحرمين الشريفين، ساعدهم على ذلك انتشار حلقات الدراسة والعلم وانتشار المدارس، مما نتج عنه ظهور علماء من أبناء الحرم الشريف تأثروا بهذا الجو الروحى والعلمى.

---

(١) الذهبى: العبر، ص ٢٢٦، واليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص ٩٤.
والفاسى: مصدر سابق، جـ٣، ص ١٠٨.
والسخاوى: التحفة اللطيفة، جـ١، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٢) المصدر السابق والجزء، ص ٢٠٥.
(٣) ابن بطوطة: رحلته، جـ١، ص ١١٩.
(٤) نفس المصدر السابق والجزء، ص ٩٨.

أما الحقيقة الخامسة والأخيرة: شكل المجاورون المصريون جزءًا من الهيكل الاجتماعى لمجتمع الحرمين الشريفين، وأنشأ ذوو اليسار منهم عددًا من الأربطة لتكون سكنًا للمجاورين، مما يدل على مدى التأثير الكبير الذى نتج عن ظاهرة الجوار فى الحرمين الشريفين فى النواحى الدينية والثقافية والاجتماعية التى شملها البحث.

* * *

مصادر البحث

الأدفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

١ ـ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.

تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة ١٩٦٦.

ابن بطوطة: (محمد بن عبد الله ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

٢ ـ الرحلة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) القاهرة ١٩٣٤.

ابن جبير: (محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

٣ ـ الرحلة (رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك) بيروت ١٩٨١.

الجزرى: (شمس الدين أبى الخير محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م):

٤ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء.

نشر ج. برجستراسر، القاهرة ١٩٣٢.

ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

٥ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.

شمس الدين الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م):

٦ ـ تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام.

تحقيق د. بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط ـ د. صالح مهدى عباس الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨.

٧ ـ تذكرة الحفاظ.

الطبعة الثانية ـ حيدر آباد ١٣٣٤هـ.

٨ ـ سير أعلام النبلاء.

تحقيق د. بشار عواد معروف وآخرين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٤، ١٩٨٥م.

٩ ـ العبر فى خبر من غبر.

تحقيق أبى هاجر محمد السعيد، بيروت، بدون تاريخ.

١٠ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

تحقيق محمد سيد جاد الحق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٧.

ابن رجب: (أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٢٥ ـ ١٣٩٣م):

١١ـ الذيل على طبقات الحنابلة.

وقف على طبعة محمد حامد الفقى، القاهرة ١٩٥٣.

سبط بن الجوزى: (أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م):

١٢ـ مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان.

الطبعة الأولى ـ حيدر آباد ١٩٥١م.

السبكى: (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م):

١٣ـ طبقات الشافعية الكبرى.

الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٠٦.

السخاوى: (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):

١٤ـ التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة.

القاهرة ١٩٧٩، ١٩٨٠م.

السيوطى: (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

١٥ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة.

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٧.

أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م):

١٦ـ الذيل على الروضتين، تراجم رجال القرنين السادس والسابع.

نشره السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٧.

الصفدى: (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/ ١٣٣٢م):

١٧ـ الوافى بالوفيات.

شتوتجارت ١٩٨٨، فيسبادن ١٩٨٣.

ابن ظهيرة: (جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين ـ من علماء القرن ٩هـ/ ١٥م):

١٨ـ الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف.

الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٣٨.

العماد الحنبلى: (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ت ١٠٨٩هـ/ ١٧٠١م):

١٩ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب.

بيرت ١٩٦٦.

الفاسى: (تقى الدين محمد بن أحمد ٧٧٥ ـ ٨٣٢هـ/ ١٣٧٤ ـ ١٤٢٩م):

٢٠ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. مكة المكرمة ١٩٥٦م.

٢١ـ العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين.

تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٩٦٠، ١٩٦٢، ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٧.

ابن فرحون: (برهان الدين إبراهيم بن على ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦ ـ ١٣٩٧م):

٢٢ ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب.

تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور. القاهرة، بدون تاريخ.

ابن كثير: (عماد الدين أبى القداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧١م):

٢٣ ـ البداية والنهاية فى التاريخ. القاهرة، بدون تاريخ.

المقريزى: (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):

٢٤ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك.

تحقيق. محمد مصطفى زيادة. القاهرة ١٩٣٤.

٢٥ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٧.

المنذرى: (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٩م):

٢٦ـ التكملة لوفيات النقلة.

تحقيق د. بشار عواد معروف. الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٨.

ابن النجار: (الشيخ محمد بن محمود ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م):

٢٧ـ الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة، مكة المكرمة ١٩٥٦.

اليافعى: (أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمنى المكى ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م):

٢٨ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان.

الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٠.

مراجع البحث

أحمد حنفى نصار القوصى:

١ ـ مع التصوّف الإسلامى، معارج ونماذج، القاهرة ١٩٨٢.

سليمان عبد الغنى مالكى:

٢ ـ بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد، الرياض ١٩٨٢.

* * *